الفصل الخامس : ما نسخ حكمه دون تلاوته

تفنيد افتراءات المنتسخة فى النوع الأول . . . . . .
أولاً : الرد على افتراء استدلالهم بلمحو والإثبات فى أم الكتلب . . . . . .
ثانيًا : الرد على افتراء استدلالهم بالنسخ والإنساء . . . . . .
الموضع الأول : يقول تعالى فى سورة البقرة . . . . . .
الموضع الثانى : يقول تعالى فى سورة الأعراف . . . . . .
الموضع الثالث : يقول تعالى فى سورة الحج . . . . . .
الموضع الرابع والأخير : يقول تعالى بسورة الجاثية . . . . . .
ثالثًا : الرد على افتراء تعريفهم للبدل بأنه الحذف والإلغاء . . . . . .
بعض شبهات المستشرقين وأشباههم . . . . . .

❁ ❁ ❁

الفصل الخامس : بيان وتفنيد معنى ووقوع النسخ .

تمهيد

علمنا من الفصل السابق أن النسخ عند " المنتسخة " له معان عدة كالحذف ، والمحو ، والإلغاء ، والتبديل ، والتغيير ، والإزالة ، والتراجع ، . . الخ .

وهو ما يعنى حذف آيات من آيات القرآن تمامًا ، وتبديل البعض الآخر .

وقلنا إن علماء مذاهب " المنتسخة " لم يتفقوا إلى اليوم على معنى اصطلاحي واحد للنسخ ، كما اختلف عندهم (اصطلاحًا) بين مذهب وآخر (وهذا أول علامات اختلاق الموضوع) .

كما أن هناك مصنفين أكثر فذلكة قالوا : لقد قمنا بدراسة النسخ ، ودراسة الناسخ ، ودراسة المنسوخ ، ثم تبين لنا أن الأمر مبالغ فيه ، وأن حقيقة الأمر أن عدد الآيات المنسوخة لا يتجاوز عدد أصابع اليدين أو اليد الواحدة ، أو اليدين والرجلين . . . الخ . وهؤلاء كانوا أكثر ضررًا من الذين قالوا بنسخ خمسمائة وستمائة آية وما إلى ذلك ، إذ إن أصحاب المذهب التوسعى جعلوا من الناظر إلى كلامهم منتقد من النظرة الأولى ، أما المتفذلكون فقد أثاروا انتقادا لا يُذكر ، والمتفذلكون جدًا صاروا قدوة للشباب الصاعد الذى يريد أن يتعلم ، فأدخلوا عليه وعلى البسطاء عمومًا أن هناك نسخ فى القرآن ، وبالطبع فإن الأمر أصبح يحتاج إلى مجهودات خيالية لمحو آثارهم الفاسدة ، ولمحو ما أدخلوه فى عقول الناس من أن هناك شيئا اسمه النسخ فى القرآن .

ونحن هنا نحاول من باب إقامة الحجة على من يزعمون التخصص

أن نبين لهم خطأ " المنتسخة الأساس " ، سواء كانوا من المكثرين كابن حزم غير الظاهرى ، أو من المتفذلكين كابن الجوزى والسيوطى والزرقانى ، أو من المتفذلكين جدًا كالدهلوى ومصطفى زيد .

وسيكون الردّ على افتراءات المنتسخة فى النوع الأول كالتالى :

١ ـ الردّ على تعريفهم الخطأ للنسخ .

٢ ـ الردّ على تعريفهم الخطأ للبدل .

٣ ـ الردّ على تعريفهم الخطأ للمحو والإثبات .

٤ ـ بيان المعانى الصحيحة للآيات التى توركوا عليها .

وعلى بركة الله نبدأ .

❁ ❁ ❁

تفنيد تورك المنتسخة على الآيات لإثبات وقوع النسخ :

الرد على افتراء تعريفهم للنسخ بأنه الحذف والإلغاء :

النسخ شرعًا من القرآن (الإثبات والكتابة) **:**

فنحن إذا ما نظرنا إلى النسخ بمعنى " تغير الحكم " ، أو " نفاذ صلاحية الحكم للعمل به " فسنجد أن تغير الحكم من زمن لآخر وارد ؛ فهناك آيات وأحكام نزلت لتواكب أحداثًا معاصرة لوجود النبى ﷺ . وبالتالى فإن هذه الأحداث استلزمت وجود أحكام تجدّ بورود هذه الحوادث . وكذلك فهناك أحكام شخصية خاصّة بالرسول نفسه انتهت بموته ﷺ ، وفى جميع الأحوال فإن الإلغاء بمعناه الحقيقى لم يقع مطلقًا لآية واحدة من آيات الكتاب .

وبيان ذلك نبسطه بضرب أمثلة واقعية من آيات الكتاب :

١ـ أحكام شخصية خاصة بالرسول ﷺ ، وذلك كقوله تعالى **:**

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ . . ﴾ .

فبموت النبى ﷺ لم يعد لهذه الآية حكم سارى بعد ، وإنما كان العمل بها فى حياة الرسول ﷺ ، وفداه نفسى . وكذلك الآيات التالية :

﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ .

وكذلك ما جاء بالقرآن وفيه تزويج النبي ﷺ من زوج زيد ، وفيه

شقان ، شق انتهى بموت النبى ، وهو حكم الزواج ، وشق باقٍ ويسرى على من يخلف عهد النبوة من مسلمين وإلى قيام الساعة :

﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ .

وكذلك كل الآيات الخاصة بالنبى ﷺ وإن لم تكن شخصية ، كقوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

٢ـ أحكام انتهت بانتهاء الحادثة التى نزلت من أجلها ، وذلك كقوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

فالحكم هنا يدور حول المؤمنين المعاصرين للرسول .

وكذلك فى قوله تعالى :

﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

فالحكم هنا يدور حول المنافقين المعاصرين للرسول .

٣ـ أحكام انتهت بموت الرسول ﷺ ، وذلك كقوله تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمْ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

٤ـ أحكام خُفِفَت ، وذلك كقوله تعالى :

﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

وسيأتى تفصيل ذلك بعد سطور .

٥ـ أحكام ظاهرها التخفيف لمن لا يتدبرها ، وذلك كقوله تعالى :

﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ .

وسيأتى تفصيل ذلك أيضًا بعد سطور .

إذن فنستطيع أن نقول بكل ثقة إن " نفاذ صلاحية الحكم للعمل به " حادث فى القرآن ، وذلك فيما يخصّ شخص النبى ﷺ ، وما يخص واقعة بعينها فى عهد النبى والقرآن يتنزل عليه ﷺ ، أما الإلغاء بمعناه الحقيقى فلم يقع مطلقًا لآية واحدة من آيات الكتاب . ولنضرب أمثلة لتفنيد بعض ما ذهبوا إليه فى منسوخ الحكم فقط من آيات القرآن ،

ولكن بعد بيان المعنى الحقيقى للفظ النسخ الوارد بالقرآن .

❁ ❁ ❁

معنى النسخ من القرآن (الإثبات والكتابة) :

جاء ذكر النسخ بالقرآن (جذرًا) فى أربعة مواضع منه بمعنى الإثبات والكتابة كالتالى :

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

ولنتناول هذه المواضع بالدراسة والتدبر القرآنى ، ولكن قبل أن نبدأ بهذه المواضع الأربع فسأبدأ بقوله تعالى : (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) ، الذى سيعيننا على فهم ما بعده :

أولاً : الرد على افتراء استدلالهم بالمحو والإثبات فى أم الكتاب :

فمن الآيات التى استدلوا بها على وقوع النسخ بمعنى التبديل قوله تعالى :

﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ .

وهو من أعجب ما قالوه ، وإن دلّ على شيء فإنما يدل على رغبتهم الشديدة جدًا فى إثبات هواهم المبنى على الجهل بالآيات ، حتى اضطرهم الأمر هنا إلى تأويل من أفسد التآويل . ولو طالعنا الآيات مجتمعة فسنجد السياق كالتالى :

﴿ . . وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ * يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾.

إذن فالكلام هنا عن الآيات التى هى بمعنى المعجزات الحسية ، وبذلك يكون المعنى هو :

أن هذه الآيات لا يأتى بها أى رسول إلا بإذن الله تعالى ، وأن هذه الآيات (المعجزات) الحسية منها ما يمحوه الله تعالى بمشيئته ، ومنها ما يثبته . وهو تصديق قوله تعالى : (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا) . وتصديق قوله تعالى : (وَإِذَا بَدَّلْنَآ آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) .

وموضوع الآيات الحسية هذا له قصة طويلة نوعًا ما من المستحسن سردها لئلا يضيع الهدف من إيراد هذه الآية فى المقدمة :

بِآيَةٍ : الآية لغة : تأتى بمعان عدة ، كالعلامة ، والعبرة ، والجماعة ، والعجيبة ، والبرهان ، والمعجزة **(٥١٧)** .

517 ـ يقول ابن منظور فى لسان العرب (٦١/٤١) بتصرف :

والآية : **العلامة** ، والجمع آيات وآي ، وأصل آية أوية ، بفتح الواو ، وموضع العين واو ، والنسبة إليه أووي . وقوله عز وجل : سنريهم آياتنا في الآفاق معناه : نريهم الآيات التي تدل على التوحيد في الآفاق . وآية الرجل : **شخصه** . وأيا آية : وضع علامة . وخرج القوم بآيتهم أي **بجماعتهم** لم يدعوا وراءهم شيئا . والآية : من التنزيل ومن آيات القرآن العزيز ، قال أبو بكر: سميت الآية من القرآن آية لأنها علامة لانقطاع كلام من كلام . ويقال : سميت الآية آية لأنها **جماعة من حروف القرآن** . وآيات الله : **عجائبه** . وقال ابن حمزة : الآية من القرآن كأنها العلامة التي يفضى منها إلى غيرها كأعلام الطريق المنصوبة للهداية كما قال : إذا مضى علم منها بدا علم والآية : العلامة . والآية : **العبرة** ، وجمعها آي ، سميت آية كما قال تعالى : لقد كان في يوسف وإخوته آيات ، أي أمور وعبر مختلفة ، وإنما تركت العرب همزتها كما يهمزون كل ما جاءت بعد ألف ساكنة لأنها كانت فيما يرى في الأصل أية ، فثقل عليهم التشديد فأبدلوه ألفا لانفتاح ما قبل التشديد كما قالوا أيما لمعنى أما . وعين الآية ياء " .

وفى مجمع البحرين للشيخ الطريحي الشيعى (١٤١/١) بتصرف :

" أ ى ى هي جمع " آية " وهي **العبرة** ، والآيات : **العلامات والعجائب** . قوله : (لنريه من آياتنا) قال الشيخ أبو علي : الآيات التي أراها الله تعالى لمحمد ﷺ حين أسري به إلى البيت المقدس أن حشر الله عز ذكره الاولين والآخرين من النبيين والمرسلين ، ثم أمر جبرئيل فأذن شفعا وأقام شفعا ، وقال في أذانه : " **حي على خير العمل** " ثم تقدم فصلى بالقوم . وفى الخبر : "بلغوا عني ولو آية " الآية هنا : الكلام المفيد نحو " من سكت نجا " أي بلغوا عني أحاديث ولو قليلة . **والآية من القرآن** ، قيل : كل كلام متصل إلى انقطاعه ، وقيل : ما يحسن السكوت عليه ، وقيل : هي **جماعة حروف** ، من قولهم : " خرج القوم بآيتهم " أي بجماعتهم .

والآية شرعًا : تأتى بمعنى العلامة ، والمعجزة ، والجملة من جمل القرآن . **وهى هنا بمعنى المعجزة** .

وسبب قوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ) أن الكفار والمنافقين والذين فى قلوبهم مرض بمختلف مسمياتهم سألوا الرسول ﷺ أن يأتيهم بآية من الآيات التى ما يزالون يتذكرونها والتى أتى بها الأولون ، كنوع من أنواع التعجيز له ﷺ ، وبالتالى فقد علقوا إيمانهم على الإتيان بهذه الآية :

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ .

﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ .

فجاء الرد الإلهى ليحبط مسعاهم ، وليبين أن الآيات لم تنفع مع كل من نزلت عليهم قبلاً :

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴾ .

﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ .

﴿ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ .

﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

ثم إن التكذيب بالآيات بعد مجيئها سيستوجب العقاب الفورى والنقمة الوبيلة :

﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ .

ولذا فقد كان كل هذا مانعًا من إرسال هذه الآيات الحسية :

﴿ بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ * مَآ آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

﴿ وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ﴾ .

وبهذا الذى سقناه هنا يتبين أن معنى قوله تعالى :

﴿ . . وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ * يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾.

هو أن الله تعالى هو الذى يرسل بالمعجزات ، ولكنه بحكمته قضى ألا يرسل معجزات حسية هذه المرة ، يمحو الله تعالى ما يشاء من هذه الآيات المعجزات ويثبت وعنده أم الكتاب ، وفى أم الكتاب هذا القرآن علىّ حكيم :

﴿ حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ .

ولنتناول الآن المواضع الأربع التى ذُكِرَ فيها " النسخ " .

ثانيًا : الرد على افتراء استدلالهم بالنسخ والإنساء :

● الموضع الأول : يقول تعالى فى سورة البقرة :

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ * أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ ﴾ .

ولكى نفهم معنى النسخ هنا بالتحديد فيجب أن نعرف معنى كل

كلمة فى موقعها وعلاقتها بغيرها من كلمات الآيات :

۞ **مَا نَنسَخْ :** تعنى : ما نثبت .

ولو كانت بمعنى المحو كما ذهب إليه علماء مذهبى السنة والشيعة لكان المعنى هو :

ما نمحُ من آية أو نمحها (بالإنساء) . . ،

وهو كلام غير مستقيم ؛ فـ " أو " كما هو معروف تأتى للتخيير بين متغايرين .

والعجيب أن أحدًا لم ينتبه لهذه النكتة الهامة ممن أجهدوا أنفسهم فى الكلام عن النسخ .

۞ **مِنْ آيَةٍ :** الآية لغة كما ذكرنا : تأتى بمعانى عدة ، كالعلامة ، والعبرة ، والجماعة ، والعجيبة ، والبرهان ، والمعجزة .

والآية شرعًا (كما قلنا آنفًا) تأتى بمعنى العلامة ، والمعجزة ، والجملة من جمل القرآن . **وهى هنا أيضًا بمعنى المعجزة** وليس كما ذهب إليه " المنتسخون " من أن المقصود به هو الآية من آيات القرآن ، والدليل على ذلك ما جاء بالآيات نفسها ، وفيه :

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ ﴾ .

فما هو **الذى سأله اليهود لموسى** ؟ !

والجواب **هو** : **الآيات المعجزات** . فقد بدأت سورة البقرة فى بيان حال اليهود مع موسى عليه السلام ، فذكر سبحانه كيف أرى اليهود آياته ومعجزاته لعلهم يهتدون ، وقد كان من ذلك فرقه سبحانه البحر بهم :

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ .

وبرغم ذلك قابل اليهود نعمة الله وإنقاذه لهم ، وما أراه لهم من

آيات بالجحود والنكران ، فما أن عبروا البحر حتى طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً كما كان يعكف بعض الكفار على صنم لهم .

وواضح إلى هنا أن الآيات (المعجزات) لم تغير شيئًا من الطبيعة الكفرية لكفار اليهود .

وكذلك حدث نفس الشيء مع آية رفع الله تعالى لجبل الطور فوق رؤوسهم :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ .

وهكذا سارت الأمور ، وتوالت الآيات ، وأنزل الله تعالى عليهم المنّ والسلوى ، وظللهم بالغمام ، وفجر لهم الاثنتى عشرة عينًا ، وهم فى غيِّهم يرفلون ، ويقابلون إحسان الله ونعمه بالإساءة والجحود ؛ فقتلوا الأنبياء ، وعصوا أوامر الله لهم على كل الأصعدة ، بل إن الأمر تطور للأسوأ ، فقد شك اليهود فى ربهم ، ولم يكتفو بكل الآيات السابقة ، وطلبوا من موسى رؤية الله جهرة :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ .

إذن فالآيات لم تنفع مع اليهود ، كما لم تنفع مع من قبلهم من الأمم كناقة صالح وغيرها **(٥١٨)** .

وقد سأل أهل الكتاب الرسولَ محمد أن يأتيهم بالآيات المعجزات كما سأل

---

518 ـ وقد بَيَّنَ سبحانه أن الآيات لم تغير من سلوك الكفار فى مواضع عدة منها :
﴿ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ .
﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ﴾ .
﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ .
﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ .

سلفهم موسى عليه السلام ، فسألوه ﷺ أن ينزل عليهم كتابًا من السماء **(٥١٩)** :

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾.

ولكن الله تعالى بيّن لهم ولغيرهم أن هذا الطلب مرفوض ، وأن زمن المعجزات الحسية المعتمدة على الحواس الخمس المعروفة قد ولى ، معللاً لهم ذلك بعدم جدواها مع سلفهم ، فقال سبحانه **(٥٢٠)** :

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ .

ولذا فقد جاء الخطاب لمن حول النبى ﷺ من المؤمنين والمنافقين وغيرهم من البسطاء ليقول لهم سبحانه **مذكرًا** :

إن المعجزات التى سبقت **منها ما أثبته** الله فهو معروف ومشهور ، **ومنها ما اندثر** لعدم ذكر الله له فنسيه الناس ، ولكن فى جميع الأحوال يأتى الله تعالى دومًا بخير أو بمثل ما هو ثابت ومعروف تاريخيًا لدى الناس أو ما اندثر بالإنساء من جنس هذه المعجزات ، مذكرًا إياهم بقدرته على كل شيء (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

519 ـ ونزول هذا الكتاب من السماء عنوا به أن يشاهدوه وهو ينزل أمامهم كما يحط الطير على الأرض :

﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنْ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُه قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ .

520 ـ بل وذهب الكثيرون منهم إلى اعتبار هذه الآيات الحادثة والتى لم تحدث (بفرض حدوثها) من باب السحر :

﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ .

ثم يقول لهم **محذرًا** فى الخطاب المتصل :

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ ﴾ .

ثم يصف حال هؤلاء الذين لا يعلمون من أهل الكتاب أنهم كغيرهم ممن سبقهم : **علقوا إيمانهم على مجيء الآيات** :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِينَآ آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

۞ **نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا :** وآيات الكتاب ليس فيها ما هو خير ، وما هو أدنى ، وإنما آيات الكتاب هى كلام الله وقرآنه الذى قال عنه :

﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ .

وقال سبحانه :

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ .

فهو كلام الله ، لا نفرق بينه ، ولا نجعل منه الأعلى والأدنى ، ولا خير من ولا أدنى من . .

وعليه فيكون المقصود بالخيرية هنا هو ما يتعلق بالمعجزات الحسية . ويكون كلام الله يعضد بعضه بعضًا تصديقًا لقوله تعالى :

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ .

وليتخيل القارىء الحصيف أن أهل الرواية سودّوا مليارات الصفحات فى بيان أن النسخ فى هذه الآية يعنى الحذف والإلغاء ، ليكون معنى الآية عندهم كالتالى :

ما نمحوا ، أو نحذف ونلغى من آية من آيات القرآن ، أو نمحها ، ونحذفها ونلغها ، نأتى

بخير منها أو مثلها (إذ إن كلام الله بعضه خير من بعضه الآخر) ، **ألم تعلم بأن الله على كل شيء قدير** ! !

● الموضع الثانى : يقول تعالى فى سورة الأعراف :

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ .

وواضح هنا أن معنى " نُسْخَتِهَا " هو : " كتابتها " . ولم يتعرض " المتنسخة " للمعنى لتحويله إلى الحذف والإلغاء **(٥٢١)** .

● الموضع الثالث : يقول تعالى فى سورة الحج :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

ولكى نستطيع أن نفهم الآية فهمًا جيدًا فسنسلط الضوء على بعض ألفاظ الآية :

۞ إِذَا تَمَنَّى : وهذا يدفعنا لبحث ماهية ما يتمناه الأنبياء والرسل. فهم صلوات ربى وسلامه عليهم لايطلبون الدنيا وزخرفها ، وإنما شغلهم الشاغل هو الإصلاح ، والدعوة ، وإدخال الناس فى دين الله أفواجًا . ومن ثم فقد جاء قول الله تعالى مبينًا لأمنيتهم هذه ، ومن ذلك :

﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ .

---

521 ـ يقول السيوطى والمحلى : " (وفي نسختها) أي ما نسخ فيها أي كتب . . " .

ويقول القرطبى : " والنسخ : نقل ما في كتاب إلى كتاب آخر . ويقال للأصل الذي كتبت منه: نسخة ، وللفرع نسخة " . ثم : " وفي نسختها : المعنى وفيما كتب له فيها هدى ورحمة ، فلا يحتاج إلى أصل ينقل عنه . وهذا كما يقال : انسخ ما يقول فلان ، أي أثبته في كتابك " .

ويقول الطبرى : " وفي نسختها هدى ورحمة : من يقول : وفيما نسخ فيها : أي منها هدى بيان للحق ورحمة " .

﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ .

إن رحمة الرسل وشفقتهم بأقوامهم تجعلهم يتمنون (إلى درجة الإضرار بأنفسهم) أن يكون قومهم مؤمنين ، ولكن الله تعالى يعلمهم أن هذا لن يكون ، وأن الكافرين بآيات الله يجحدون .

۞ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ : ففى هذه الأثناء يستغل الشيطان الفرصة ليلقى بسمومه فى مثل هذه الأمنية ليفسدها ، وذلك بأن يحتوش الناس إلى سبيله ، مقعدًا لهم صراط الله :

﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ .

وبالتالى فسوف يوحى الشيطان إلى أوليائه ليفسد أمنية الرسول ، بأن يوقعهم فى الشرك والمعصية ، وفى ذلك يقول تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ .

وقد كان من ذلك العديد من المواقف التفصيلية التى سجلها القرآن عليهم ، ومنها ما تم تسجيله خارج القرآن ليكون شاهدًا لهذه الآية ، وهو ما يتمثل فى التراث المتداول بين الفرق والمذاهب من أحاديث بخلاف حديث الله تعالى . يقول تعالى :

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ وَكَفَى باللّهِ وَكِيلاً ﴾ .

فها هو ما ألقاه الشيطان تمثل فى الاجتراء على الله تعالى وعلى دينه بتبديل أقوال الرسول ، وتداول الشرك فى مجتمعاتهم ، والتربص

بالنبى ومن معه من المؤمنين . . الخ ، وبالتالى تبديل جزئيات الدين ، وقد تم نسخ (إثبات) كل ذلك فى صورتين :

الأولى : نسخ (إثبات) **بالكتاب** لبعض ما ألقوه **على هيئة التنبيه** .

الثانية : نسخ (إثبات) **بغير الكتاب** لبعض ما ألقوه ولكن **على هيئة التبديل** ، وذلك بنسبته زورًا إلى الرسول .

فما الهدف من أن يُثبت الله تعالى ما ألقاه الشيطان لأوليائه ؟!

هذا ما سنعرفه من السياق .

❁ **ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ :** وهو ما يعنى أن قبل هذا الإحكام كانت الآيات السابقة غير محكمة بعد .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

وهذا ما سمح للنبى والرسول أن يتمنى ، وسمح أيضًا للشيطان أن يلقى فى أمنيته . فينسخ الله ما يلقى الشيطان ويتم إثباته ، ثم يُحكم الله تعالى آياته فيتحدد كل ما يتعلق بالآيات السابقة التى لم تكن قد أُحْكِمَت بعد .

وعليه فسيتبقى مثبتًا بعد ما سلف ذكره :

- آيات غير محكمات مثبتات .
- ما ألقاه الشيطان لأوليائه فى أمنية الرسول أو النبى ، مثبت أيضًا .
- آيات محكمات تقضى على كل ما سلف ، ومثبتات أيضًا .

❁ **لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً :** وهو ما يعنى أن ما سيلقيه الشيطان قد تم إثباته ليكون فتنة :

﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ

قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ .

والفتنة لها معاني عدة ، فهى تأتى بمعنى : الاختبار والابتلاء ، وبمعنى الضلالة ، وبمعنى الغواية ، وبمعنى الصرف عن ، وبمعنى العذاب ، وهى هنا بمعنى الإضلال والغواية .

إذن فقد علمنا سبب نسخ (إثبات) الله تعالى لما يلقيه الشيطان ، وذلك أن الذين فى قلوبهم مرض ، والقاسية قلوبهم عندما يجدوا هذا التراث (الشيطانى) منسوخًا (مثبتًا) يُشْرَبوه فى قلوبهم ، ويُضَلُونَ به لاستعدادهم الذى نموّه لاكتساب الضلال والغواية ، والشر والفجور .

ولو كان النسخ هنا بمعنى الإزالة والمحو كما ذهب إليه الروائيون لكان معنى ذلك هو :

إن الله تعالى **يمحو** ما يُلقى الشيطان **ليكون** ذلك **المحو إضلالاً** للخلف ! !

وهو تفسير عجيب وغير مقبول ، ولا يمت للعقل بصلة .

● الموضع الرابع والأخير : يقول تعالى بسورة الجاثية :

﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

أى أننا كنا نثبت ما كنتم تعملون ، وندونه فى كتاب . وهذا الكتاب قال عنه سبحانه :

﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ .

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ .

ويبين سبحانه أن الكتبة فى وضع الجاهزية والاستعداد الدائم

لتدوين كل صغيرة وكبيرة ؛ فيقول سبحانه :

﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ .

﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ .

إذن فقد اتفقت الآيات الأربع على أن معنى النسخ بها هو الإثبات ، لا المحو ، أو التبديل ، والتغيير كما زعم أهل الروايات والحكايات . وبقى أن نناقش بعض ما حسبوه علمًا !!

ثالثًا : الرد على افتراء تعريفهم للبدل بأنه الحنف والإلغاء :

فنحن إذا ما نظرنا إلى الآيات التى استدلوا بها على وقوع التبديل فى آيات القرآن فسنجد أنهم استدلوا بهذه الآيات :

١ ـ قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ .

وقد كانت شبهتهم فى هذه الآية أنها لم تنف إمكانية حدوث التبديل ، وإنما جعلته بإرادة الله لا بإرادة الرسول ﷺ .

٢ ـ قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

فقالوا : إن التبديل قد وقع فى القرآن ، وتم نسخ بعض الآيات بآيات أُخرى غيرها ، وإلا لم يكن الكفار ليقولوا : إنما أنت مفترٍ كما قالوا هنا .

ولكى نفهم دلالة الآية بشكل صحيح فلنرجع لما سبق وقررناه فى معنى الآية السابقة :

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا . . ﴾ .

فقد ذكرنا أن المعنى الصحيح لها هو : أن **المقصود بالآية هنا هو المعجزة الحسية** ، وأن الخطاب فى الآيات يعنى :

إن المعجزات التى سبقت **منها ما أثبته** الله فهو معروف ومشهور ، **ومنها ما اندثر** لعدم ذكر الله له فنسيه الناس ، ولكن فى جميع الأحوال يأتى الله تعالى دومًا بمثل أو بخير مما هو ثابت ومعروف تاريخيًا لدى الناس أو مما اندثر بالإنساء من جنس هذه المعجزات ، مذكرًا إياهم بقدرته على كل شيء:

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وكذلك فقد أخبر الله تعالى رسوله ومن حوله أنه لن يُنزل عليهم معجزات حسيِّة من جنس المعجزات السابقة التى أتاها تعالى لرسله . ولكنه هنا يخبرهم أنه سبحانه قد أبدلهم بدلاً منها ماهو خير منها إن لم يكن مثلها ، وهو هذا الكتاب المعجز للثقلين :

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ .

ثم إن الكافرين قد استيقنوا الحق ، وعلموا أن هذا الكتاب المعجز لا يكون إلا من عند الله ، ولكنهم قابلوا هذه المعجزة (الآية) التى أيد الله بها رسوله محمد (وهى القرآن) بالنكران والتكذيب **(٥٢٢)** ، وفى ذلك يقول سبحانه :

---

522 ـ وفى ذلك يقول الله تعالى مسليًا رسوله : (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) .

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ .

أى أنه إذا بدلنا معجزة عقلية علمية لغوية دائمة كالقرآن مكان معجزة سابقة حسية وقتية كالتى أوتيها موسى وعيسى وغيرهما من رسل وأنبياء الله تعالى فيقول الكفار : إنما أنت مفترٍ لهذا الكتاب .

ثم يُلَقِّن الله تعالى رسوله ما سيقوله لهؤلاء الكذبة الذين اتهموا الرسول ﷺ بافتراءه لهذا القرآن المعجز لهم ؛ فيقول سبحانه :

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

ثم يقرر سبحانه أن التهمة التى اتهموا الرسول بها إنما تُحيق بهم هم لا برسول الله ﷺ ؛ فيقول :

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ .

ولكن أهل الروايات والمذاهب مهرة فى تقطيع الآيات كما يحلو لهم استظهارًا للأدلة ، وجهلة تمامًا بمراد الله تعالى فى كتابه .

وقد غاب عن هؤلاء الجهلة قول الله تعالى الذى قاله مرارًا وتكرارًا ، وفيه :

﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ .

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

بل وجاء النصّ على استحالة تبديل كلمات الكتاب ؛ إذ يقول جل جلاله :

﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ .

يقول الشيخ محمد محمود ندا فى كتابه :

" ومعنى الآية على هذا إذًا (وَإِذَا بَدَّلْنَآ آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ) : وإذا وضعنا القرآن محل ما سبقه من الكتب ، أى نسخناها به ، فهى من نسخ كتاب بكتاب ، أو شريعة بشريعة " **(٥٢٣)** .

قلت : وهو خطأ ظاهر ، ولو تدبر كتاب الله لعلم أن شريعة الله تعالى واحدة ، ولا ينسخ بعضها بعضًا ، ولا يوجد ما أفرد له الصفحات من وجود نسخ كلى ونسخ جزئى ، ثم إقراره للكلى دون الجزئى . وبرغم أنى ذكرت تفنيد ذلك بالفصل الماضى إلا أنى سأذكره بالهامش**(٥٢٤)** .

523 ـ انظر : النسخ فى القرآن بين المؤيدين والمعارضين للشيخ ندا : (ص : ٤٦) .

524 ـ فشريعة الله تعالى واحدة منذ بعث النبيين والرسل إلى أن تقوم الساعة ، وليس كما ذهب إليه الشيخ ندا وأهل الرواية من نسخ الإسلام لما قبله ، وما ذهب إليه أهل الكتاب من نسخ الإنجيل للتوراة ، ونسخ التوراة لما قبلها ، والدليل على ذلك قوله تعالى :

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ **وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ** بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ . . ﴾ .

فبين سبحانه وحدة التشريع بالنصّ على أن المنزل مع كل الأنبياء والرسل هو : " **الكتاب** ".

ولو كانت الشرائع مختلفة لقال تعالى : " **الكتب** " . **ونفس الشيء نجده فى قوله تعالى :**

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ **الْكِتَابَ** وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ .

وقال سبحانه :

﴿ يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ . . ﴾ .

فبهذا الهدى الذى أُنزل على محمد تمت الشريعة كما كانت عند من قبلنا .

وقال العزيز القوى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . . ﴾ .

وقال الحيّ القيوم :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ

فها هو القرآن المتماسك ، المنزل من عند الواحد القهار يعضد بعضه بعضًا ، والزائغون فى غيهم يعمهون .

وبهذا نكون قد تناولنا كل الآيات التى تمسك أهل الباطل بتأويلاتهم السخيفة لمعانيها ليخرجوا فى النهاية بأن القرآن يلغى بعضه بعضه !

ولنقارن ما عرفناه فى هذا الفصل من حقائق **بكلام** الأستاذ الدكتور محمد صالح علي مصطفى الذى نثره تحت عنوان : " **النسخ في القرآن الكريم : مفهومه وتاريخه ودعاواه** " . ويقول فيه :

" هذه ورقات أصولها محاضرات ألقيتها على طلبة الدراسات العليا بقسم القرآن وعلومه ، ثم أعدت النظر فيها لنقلها من مقام المخاطبة إلى مقام المكاتبة . . " ، ثم :

" ومعلوم أن النسخ لا يكون إلا بالقطع واليقين " ، ثم :

" ومن الآيات الدالة تصريحاً أو تضميناً ما يلي : (ما ننسخ من آية أو

وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ * أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ **فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾ .

فأمر سبحانه الرسول وأمته أن يقتدوا بما ذكره تعالى على صفحات الكتاب من هدى النبيين والرسل السابقين على بعثة محمد .

فأين الاختلاف فى الشرائع كما زعموا ؟!

وإنما يقع الاختلاف فى تفاصيل تختص بها أمة عن أمة ، وتكون بعيدة عن التشريع ، كأمر الله لبنى إسرائيل أن يذبحوا بقرة ، ومعاقبته تعالى لهم بأن من قتل نفسًا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعًا ، وما إلى ذلك . أما تشريعه سبحانه للصلاة (مثلا) ، والزكاة ، والصوم ، وما إلى ذلك من عبادات ، وكذلك تشريعه سبحانه لحرمة الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أُهِلَ به لغير الله ، والنطيحة ، والموقوذة ، والمتردية . . . إلى آخر ذلك ، فكله متطابق من شريعة لأختها . فإذا أضفنا لذلك تحريمه تعالى فى كل الشرائع للكفر ، والشرك ، والقتل ، والزنا ، وما إلى ذلك من معاصى ، فقد عُلِمَ يقينًا كيف كانت الشريعة واحدة ، والدين واحد ، والكتاب واحد أيضًا .

ننسها نأت بخير منها أو مثلها) . (وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر) . (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبت أحلت لهم). (يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتب) .

والآية الثانية نص في مفهوم النسخ القرآني للتصريح بقوله : (والله أعلم بما ينزل) . فدلالتها على موضوع النسخ دلالة صريحة ظاهرة، بينما الآية الأولى دون ذلك في الدلالة، وإن كان صرح فيها بلفظ (ننسخ) المأخوذة منه مصطلح النسخ . والفرق أن لفظ النسخ عام يشمل آيات التنزيل وآيات التكوين ، بخلاف لفظ التبديل الخاص بالتنزيل . ودلالة الآية الثالثة هي من حيث إن التحريم كان بديل التحليل ، أي إنه أزيل حكم وأنزل آخر . والآية الأخيرة أدخلت المحو والإثبات ـ وهما معنى النسخ ـ في عموم المشيئة الفاعلة . فهما يقعان بتأثير هذه المشيئة . وهناك آيات أخرى كثيرة تصلح أدلة للنسخ ، وفيما سقناه كفاية المكتفي " .

والسؤال الآن لكل من يعقل هو :

أيهما الأفضل لكتاب يؤلفه مؤلف (من البشر) :

أن يكون الكتاب كله منسجمًا ، متكاملاً ، لا تعارض أو تناقض فيه .

أم يكون الكتاب محتويًا على كلام ينقض بعض الكلام الآخر .

ثم بفرض لزوم وقوع هذا التناقض والتعارض ، وأنه لا مفر منه **فأيهما أفضل** :

أن ينصّ المؤلف على وقوع التعارض والتناقض ، ويبرره ، وينصّ على مواقعه بالتحديد ، مبيّنًا أى القولين هو المتأخر والأصح ، أم يترك هذا التعارض دون نصٍّ عليه ، أو تبرير له ، أو تمييز للقول المتأخر الصحيح ؟

فإذا كان البشر يرى أن الحكمة تقتضى عدم وقوع التناقض أصلاً ، وتقتضى أنه بفرض حدوث ذلك لزومًا فيجب النصّ على وقوعه ،

ومواضعه ، وسببه ، وتعيين القول المتأخر الصحيح ، فما بالنا بحكمة من علّم البشر الحكمة ؟!

ولا يخفى على اللبيب أن القول بوقوع النسخ فى الكتاب هو من أبلغ الإساءة للكتاب ، وإعطاء الفرصة لأعداء الحق للتشبث بهذا الباطل والاستدلال به على وجود النقيصة فى الدين . وقد امتلأت صفحات الإنترنت بمواقع تشنأ الإسلام بمثل هذه المقولات ، ولنطالع هذه الأسطر المنقولة من أحد هذه المواقع المغرضة على الذت ، وإن كان ما يقوله فيه الكثير من الحق والواقع عند الخلف .

بعض شبهات المستشرقين وأشباههم :

يقول الكاتب بهذا الموقع " www.alkalema.net/kuran/kuran " :

" ينفرد الإسلام **(٥٢٥)** بمسألة الناسخ والمنسوخ **(٥٢٦)** ، فلا تكاد تخلو سورة في القرآن منه ، فكان ذلك موجباً لتشويش الفكر . فإذا طالع الإنسان بقصد الفائدة تاه في الالتباسات ، وصعُب عليه التمييز بين الأحكام واجبة التنفيذ ، والأحكام التي لا يجوز الاعتماد عليها . وقد رُوي عن عليّ بن أبي طالب أنه دخل يوماً مسجد الجامع بالكوفة فرأى فيه رجلاً يُعرف بعبد الرحمن ، وقد اجتمع عليه الناس يسألونه وهو يخلط الأمر بالنهي والإباحة بالحظر ، فسأله عليّ : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا . قال : هلكت وأهلكت . ثم أخذ أذنه ففتلها ، وقال : لا تقصِ في مسجدنا بعد . وعبد الرحمن هذا كان صاحباً لأبي موسى الأشعري . فإذا كان هذا الرجل مع تقدمه في العلم وقربه من الصحابة جهل الناسخ والمنسوخ حتى كاد أن يقع

525 ـ وكان الأولى به أن يسم المنتسبين للإسلام بهذه التهمة ، ولكن عومه على عومهم يدل على أنه مثلهم : " سطحى ، جاهل بالكتاب " ، ودافعه لذلك يختلف عن دافعهم ، فهو يعكر ليصطاد ، وليسم الإسلام فى النهاية بالنقيصة .

526 ـ وهو كلام كذب ، والحق أن كتب الله تعالى لا يقع بها هذا النسخ المؤلف من الخلف ، أما الكتب المتداولة الآن مع خلف أهل الكتاب ففيها الكثير من المواضع التى ذُكِرَ فيها النسخ نصًّا وواقعًا ، وذلك كما بينته بالفصل السابق .

في الضلالة ويُضل غيره ، أو كما قال عليّ : يَهلك ويُهلك غيره فما بالك بمن لم يكن عالماً أو لم يكن قريب عهد بالصحابة ؟ (كتاب الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس باب الترغيب في تعلم الناسخ والمنسوخ) .

أنّ الناسخ والمنسوخ إذا وُجدا في قانون أو دستور كانا أعظم وصمة عار له ، ولذا كانت الديانة الصحيحة الحقيقية وكُتبها المُنزّلة مُنزّهة عن هذه الوصمة ، لأنه لما كان الله سبحانه عالماً بالماضي والحاضر والمستقبل ، ويعلم السر والجهر ، وما استتر وظهر من عواطف الناس وأميالهم وأقوالهم وأفعالهم ، أنزل كتابه المقدس منزّهاً عن الناسخ والمنسوخ . ومن أتى في قوله وفعله بالناسخ والمنسوخ كان من أقوى الأدلة على جهله وعدم اختباره وعدم معرفته بالضار من النافع . فماذا نقول في ملك أرضي سنّ قانوناً وأمر رعاياه أن يطيعوا أوامره ، وبعد أشهر سنّ قانوناً آخر ينسخ أحكام القانون الأول ، وأمرهم أيضاً بطاعته ، وهكذا كانت أعماله دائرة بين ناسخ ومنسوخ ونقض وإبرام . ولما اعترض الناس عليه قال لهم : ما ننسخ من قانون أو ننساه نأت بخير منه أو مثله .

أما كان يجب عليه قبل أن يُقدِم على سنّ قانون أن يتروّى ويتحرّى حتى يكون قانونه محبوك الطرفين . فماذا نقول في ملك الملوك ورب الأرباب العليم الحكيم ؟ هل يُعقل أن يأتي بقانون قابل **للنسخ** والنقض والتغيير والتبديل ؟

لئن جاز هذا من ملك فهو معذور ، لأنه إنسان قاصر ، ولكن لا يجوز أن نقول ذلك عن العليم الحكيم ، لأنه هو العارف بالكليات والجزئيات ، وهو الذي خلق الإنسان وكل شيء ، ويعرف المناسب وغير المناسب له **(٥٢٧)** .

فيتضح من هذا الاعتقاد بأن الناسخ والمنسوخ مناف لحكمة الله وعلمه وكمالاته ، بل نقول إنه أقوى مساعد لكل من ادّعى النبوة ، فساعد الجاهل والكذاب والمحتال . ونعذر المختار بن عبيد على دعواه النبوة لأنه كان من

---

527 ـ **وهو كلام منطقي جدًا** ، وياليت المتمذهبة فطنوا له بدلاً من أن يعيشوا حياتهم أسرى للمذهبية التي تدفعهم للقول باللامعقول ، حتى يأتي مثل هذا العدو ليتفلسف على حسابهم .

مذهبه أنه يجوز البدء على الله تعالى . والبدء له معانٍ ، منها البدء في العلم وهو أن يَظهر له خلاف ما علم ، ومنها البدء في الإرادة وهو أن يَظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم . ومنها البدء في الأمر ، وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بعده بخلاف ذلك . وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبدء لأنه كان يدَّعي علم ما يحدث من الأحوال ، إما بوحي إليه يوحَى إليه، وإما برسالة من قِبَل الإمام محمد بن الحنفية . فكان إذا وعد أصحابه بحدوث شيء ، وحدث ، جعله دليلاً على صدق دعواه ، وإن لم يحدث قال : قد بدا لربكم . وكان لا يفرّق بين النسخ والبدء . قال: إذا جاز النسخ في الأحكام جاز البدء في الأخبار.

وكان للمختار كرسي قديم غشاه بالديباج وزيَّنه بأنواع الزينة ، وقال: هذا من ذخائر عليّ ، وهو عندنا بمنزلة التابوت لبني إسرائيل . فكان إذا حارب خصومه يضعه في براح الصف ويقول : قاتلوا ولكم الظفر والنصرة ، وهذا الكرسي محله فيكم محل التابوت في بني إسرائيل ، وفيه السكينة والبقية ، والملائكة من فوقكم ينزلون مدداً لكم . وحديث الحمامات البيض التي ظهرت في الهواء وقد أخبرهم قبل ذلك بأن الملائكة تنزل على صورة الحمامات البيض معروف . والأسجاع التي ألّفها مشهور أمرها . وسبب ادّعاء الكذبة بالنبوة هو الناسخ والمنسوخ ، فإن الكاذب إذا تنبأ عن حادثة ولم تحصل اعتذر بالنسخ ، كما فعل المختار ولذا أنكر **اليهود** في عصر محمد الناسخ والمنسوخ وقالوا : إنه بدا كالذي يرى الرأي ، ثم يبدو له . وهم مصيبون أيضاً (الملل والنحل للشهرستاني فصل المختاريه) " .

ويقول المذكور بعدها :

" معنى النَّسْخ : النسخ بمعنى الإزالة كقوله في الحج (٢٢: ٥٢) "فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ " فإن الشيطان عندهم له دَخْل في الوحي ، وقد أوحى إلى محمد عبادة اللات والعُزَّى ، حتى قال إنها الغرانيق العُلى . ثم نسخها ، (أسباب النزول للواحدي سبب نزول الحج ٢٢ : ٥٢) .

ومعنى النسخ التبديل ، ومنه " وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ " ؛ (النحل ١٦:

١٠١) أي بالنسخ ، فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظاً أو حكماً .

وأجمع علماء المسلمين على أن النسخ مما خصّ الله به الأمة الإسلامية لحِكَم ، منها التيسير. **كأنه سبحانه لم يدْرِ أن الأحكام التي أنزلها أول الأمر لا تلائم الناس ، ثم خفّفها عنهم** " .

ويقول المذكور بعدها :

" ومن ذلك مسألة القتال ، فلما كان محمد في مبدأ أمره ضعيفاً أمر أصحابه بالصفح عن أعدائه ، ولما تقوّى حضّهم على قتالهم . **قال ابن العربي** : كل ما في القرآن من الصفح عن الكفار والتولي والإعراض والكف عنهم فهو منسوخ بآية السيف (التوبة ٩ : ٥) " فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم " . **فهذه الآية نسخت ١٢٤ آية في حُسن معاملة المشركين** " .

ويقول المذكور بعدها :

" ورُوي عن محمد قوله : إن الله تجاوز لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استُكرِهوا عليه . ومما يشبه ذلك قوله : " يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله حق تُقاته " . فقال العرب : يارسول الله ، ما حق تقاته ؟ قال : أن يُطاع فلا يعصَى ، وأن يُذكر فلا يُنسى ، وأن يُشكر فلا يكفر . فشقّ عليهم ذلك ، فنزلت : وجاهدوا في الله حق جهاده . فكان هذا أعظم من الأول ومعناها اعملوا حق عمله . وكادت عقولهم تُذهل فخفف عنهم ذلك بقوله : فاتّقوا الله ما استطعتم . فصارت ناسخة لما قبلها (أسباب النزول للواحدي سبب نزول البقرة ٢: ٢٨٤) .

ألم يكن عارفاً في أول الأمر بما يوافق الطبيعة البشرية فيأتي من أول وهلة بما يلائمها ؟

وهل البشر أحكم من المولى حتى إذا طلبوا تغيير الوحي أجابهم إلى طلبهم ؟

أو هل تلبية محمد لهم هو من باب المداراة ، لأنه كان يخشى نفورهم منه وتفرُّقهم عنه ، وهم كانوا يحبون ديانةً سهلةً على الطبيعة البشرية ؟

ورد في النساء ٤: ١٧ " إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ " . فسُئل محمد : ما حدّ التائبين ؟ قال : من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته . ثم قال : ألا وإن ذلك لكثير . ثم قال : من تاب قبل موته بنصف سنة قبل الله تعالى توبته . ثم قال: ألا وإن ذلك لكثير . ثم قال : من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته . ثم قال : ألا وإن الشهر كثير . ثم قال : من تاب قبل موته بجُمعة قبل الله توبته . ثم قال : ألا وإن ذلك كثير . ثم قال : من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته . ثم قال : ألا وإن ذلك لكثير . ثم قال : من تاب قبل موته بساعة قبل الله توبته . ثم قال : ألا وإن ذلك لكثير . ثم قال : من تاب قبل أن يغرغر قبل الله توبته . ثم تلا قوله : ثم يتوبون من قريب (راجع تفسير النساء ٤: ١٧) .

ويقول جون جلكرايست :

" **<u>الناسخ والمنسوخ ونظرية النسخ</u>** : هذه النظرية يرفضها دون تمحيص بعض علماء المسلمين لما لها من انعكاسات سلبية على ما يزعمونه من كمال القرآن . بالمقابل نجد أن التيارات الإسلامية الأكثر تشددا تتبناها ومن جملتهم بعض المولانات من أمثال ديزاي . النظرية هذه ترتكز إلى حد ما إلى تعاليم القرآن نفسها كما يتبين من الآية التالية " : "مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (سورة البقرة ١٠٦) .

في الفترة الأولى من تاريخ الإسلام كانت هذه الآية تدل على إمكانية " نسخ " (أي حذف وإلغاء) بعض المقاطع القرآنية في حين تنزل مقاطع أخرى تعتبر " ناسخة " أي معوضة لها . المفسران الكبيران البيضاوي والزمخشري كلاهما أقر بأن الأجزاء المنسوخة يجب أن لا تقرأ وبأن الأحكام والشرائع المبنية على أساسها يجب أن تعتبر لاغية . كان المعتقد السائد في ذلك الوقت أن جبريل (الملاك الذي يأتي بالوحي) هو الذي كان يزيلها من القرآن . رغم هذا نجد أنه في حالات عدة كانت الأجزاء المنسوخة تبقى في المصحف إلى جانب الأجزاء الناسخة .

الآية التي قدَّمنا تُقر بالفعل بأن الله ينسخ بعضا من آياته وكلمة آية تعني هنا وفي حالات أخرى النص القرآني نفسه كما هو مذكور في الآية ٧ من سورة آل عمران حيث يقال إن بعض آيات الكتاب محكمة أي إن معناها واضح في حين تعتبر آيات أخرى مجازية وهذا ما يسمى بالمتشابه (كذلك سورة هود الآية ١) .

ليس هنالك مجال للشك في كون القرآن نفسه يشهد على إمكانية نسخ بعض من آياته وبما أن القرآن يرمز لنصوصه بكلمة " آيات " فإن التأويل القائل إن النسخ يتعلق بالنص القرآني نفسه لا يمكن أن يكون عليه أي اعتراض . كلمة " آية " وردت كثيرا في القرآن وقد تعني " علامة " أو " إشارة " من الله (يعني معجزاته الخارقة) لكن من المؤكد أنه ليست هذه هي الآيات التي نُسخت . الأية المذكورة لا تتحدث إلا عن النص المكتوب إذ لا يمكن أن يكون إشَارة إلى المعجزات التي كان الله يظهرها من أجل إنذار عباده لأنها أحداث تاريخية محضة وقعت ولا يمكن التراجع عنها بنسخها . العلماء المسلمون واعون كل الوعي بهذه الأمور لهذا يبقى السؤال مطروحا عن أي نصوص نتحدث كلما تعلق الآمر بالنسخ ؟

بعض علماء المسلمين الذين ينكرون إمكانية نسخ القرآن يدَّعون أن النسخ الذي ذُكر فيه يتعلق بالرسالات السماوية التي أنزلت لليهود والنصارى من قبل . هذا التأويل لا يقوم على أساس صحيح لأننا لا نجد في القرآن ما يدل على أن كلمة " آيات " هي وصف للتوراة والإنجيل . وليس هناك ما يوحي بأن الآيات السماوية السابقة قد نُسخت ، بالعكس تماما نجد أن القرآن يصف نفسه بعبارة " مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ " (سورة آل عمران الآية ٣) . فالقرآن إذا بشهادته نفسه لا يُعَد ناسخا لما سبقه من الرسالات السماوية بل بالعكس يدعي أنه جاء لإثباتها . هناك آيات تقول إن اليهود يجب عليهم أن يحتكموا للتوراة عوض اللجوء إلى محمد ليحكم بينهم (سورة المائدة الآية ٤٣) ونفس الشيء طُلب من النصارى (سورة المائدة الآية ٤٧) . في الآية ٦٨ من سورة المائدة أمَر القرآن كلا من اليهود والنصارى أن يلتزموا بمبادئ التوراة والإنجيل وبما جاءهم به أنبياءهم.

النسخ الذي يتحدث عنه القرآن لا يمكن أن ينسب للكتب السماوية السابقة بل يتعلق كليا بنصوص القرآن نفسه . هكذا فُهمت آية النسخ في العهد الأول للإسلام . الورطة بالنسبة للعلماء المسلمين المعاصرين تكمن في كون القرآن يَدَّعي أنه صادر عن " لوح محفوظ " . والسؤال الذي لا مفر منه هو : إذا كانت هنالك أجزاء من القرآن قد نُسخت وحُذفت فهل كانت هذه الأجزاء ضمن " اللوح المحفوظ " ؟ إذا أجبنا بنعم فالنتيجة الحتمية هي أن المصحف الحالي ليس نسخة طبق الأصل لما يوجد في " اللوح المحفوظ " لأن هذا الأخير لا يمكن تغيير أي جزء منه لأنه كلام الله الأبدي . إذا أجبنا بلا فكيف أمكن أن توحى

هذه الأجزاء المنسوخة لمحمد وتُعتبر من القرآن خلال فترة معينة قبل نسخها وهي ليست من " اللوح المحفوظ " ؟ ها نحن إذا عُدنا إلى الفكرة العامية القائلة بأن نص القرآن قد حفظه الله من أوله إلى آخره ولم يطرأ عليه أي تغيير مهما كانت درجة أهميته ولم يقع فيه كذلك أي " نسخ " . العلماء المسلمون في محاولاتهم التأكيد على هذه الفرضية يلجئون إلى تأويل خاطئ للآية ١٠٦ من سورة البقرة ، تأويل لا يمكن اشتقاقه من ظاهر النص عكس ما فعل أسلافهم من المسلمين الأوائل الذين اعتبروا أن أجزاء من القرآن قد تم فعلا نسخها وحذفها من المصحف .

هذه النظرية لا يتقبلها بعض العلماء المسلمين الآخرين لكن ليس لنفس الأسباب . فهي مثلا تُصَور الله كأنه إله يتراجع عن ما صدر عنه من قرارات سابقة كما لو كان معرضا لتغيير رأيه كالبشر أو لأنه يكتشف أفكارا أحسن ! بالرغم من هذا يجب أخذ النص القائل بالنسخ بمعناه الذي فُهِم على أساسه في بداية العهد الإسلامي بالإجماع وليس كما يريده العلماء المعاصرون خدمة لآهوائهم الذاتية .

هنالك مقاطع قرآنية أخرى تدعم هذا التأويل ، من بينها : " وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ " (الآية ٦ سورة النحل) . هذه الآية تدل بوضوح على استبدال بعض النصوص بنصوص أخرى من القرآن نفسه فهي لا تقول إن الله استبدل كتابا معينا (التوراة والإنجيل) بكتاب آخر بل استبدل آية بأخرى حيث تعني كلمة " آية " النصوص المكونة للقرآن وليس الكتب السماوية السابقة . هذا بالذات السبب ، أي ادعاء أن الله قد استبدل بعضا من آياته القرآنية السابقة ، الذي دفع خصوم محمد لاتهامه بالتزوير لأنهم اعتقدوا أن مسألة النسخ هذه لم تكن سوى ذريعة لتبرير نسيان محمد لنصوص سابقة أو لتغيرها عمدا .

الآن بعدما بيننا أن القرآن نفسه يعترف أن بعضا منه قد تغير يمكن للمرء أن يعتقد أن التسليم بهذه المسألة كاف للبرهنة على أن القرآن الحالي غير مكتمل . هذا بالفعل ما يعيه العلماء المسلمون الحديثون لذلك ينكرون نظرية النسخ لأنها تؤدي بهم إلى ما لا تحمد عقباه . من المحقق أن القرآن لا يمكن اعتباره صورة طبق الأصل لما جاء به محمد دون زيادة أو نقصان . بالرغم من هذا نجد أن ديزاي يستعمل نظرية النسخ هذه للبرهنة على كمال

القرآن ! يقول مولانا : " كون الله تعالى قد نسخ بعضا من الآيات في زمن رسول الله (ص) حين كان الوحي لا زال يأتيه أمر معروف عند الجميع . . كلما أعلن رسول الله (ص) أن آية قد نسخت فلا يمكن حينئذ إدخالها في المصحف " (ديزاي، ص ٤٨،٤٩) . استدلال كهذا يزعم أن المقاطع المفقودة من القرآن التي تتحدث عنها الأحاديث يجب أن لا تعتبر كبراهين على عدم كمال القرآن أو على تحريفه . تفترض هذه النظرية أن كل جزء من القرآن لم يتم ضَمُّه للمصحف وقت جمعه أو ألغي لسبب آخر وجب أن يكون الله قد نسخه . لهذا فلا شيء من القرآن قد فُقد لأن ما وصلنا هو كل ما أراده الله أن يصلنا من القرآن . عمر نفسه حار في الآمر حين علم أن نصوصا لم يكن يدريها كان يقرأها الصحابي أبي بن كعب ذو المعرفة الواسعة بالقرآن وهذا ما جعله يستنتج أنها قد نُسِخت . . " ، إلى أن يقول بعد ذكره لحديث بئر معونة :

" يفيدنا هذا الحديث أن آية ما كانت بالتأكيد جزأ من القرآن وتم نسخها لاحقا . هذا الحديث يعتبر مشهورا فقد ورد عند كل من بن سعد والطبري والواقدي ومسلم (No eldecke, Geschichte, 1.246). بخصوص هذه الحادثة يقول السيوطي استنادا إلى الصحيحين : " ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رُفِع " (الإتقان-الجزء الثاني ص ٥٥) وهذا دليل إضافي على أن النص المذكور كان في الأصل جزأ من القرآن. المشكلة هنا وكذلك فيما يخص الآيات الأخرى التي يعتبرها الحديث منسوخة هو أن المرء لا يجد سببا واضحا للنسخ ولا يدري ما هي الآية التي هي " أحسن منها أو مثلها " التي جاءت لتعوضها . لأن القرآن يعلن بصراحة في آيتين (١٠٦،٢ و ١٠١،١٦) أن الله يبدل الآيات الأصلية بما هو "خَيرُ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا". فهكذا نجد أنه ذكر لنا في الآية ٢ . ٢١٩ أن الخمر له محاسن وله مساوئ وفي الآية ٤ . ٤٣ أمر المسلمين أن لا يقربوا الصلاة وهم سكارى . وفي النهاية تقرر في الآيتين ٥ . ٩٣ ـ ٩٤ أن الخمر محرم قطعيا . الآيتين الأخيرتين تعتبران ناسختين للآيتين السابقتين رغم بقاءهما في القرآن . هذا مثال منطقي لما يجب أن نصادفه في القرآن باعتبار أن كل آية نُسِخت إلا ووُجِدت آية لتكون مكانها .

الحديث الذي ذكرنا حول قتلى بئر معونة لم يذكر لنا الآية التي نزلت مكان الآية المنسوخة . نفس الشيء نلاحظه بالنسبة للآيات الأُخر التي ذكرنا، ما الذي عَوَّضها ؟ أين الناسخ الذي وجب أن يأتي مكان المنسوخ ؟

من المعقول أن نعتبر أن أغلب الآيات التي قيل إنها رُفِعت من المصحف قد

تكون إما أُهملت أو لم تكن معروفة لدى الصحابة أو ببساطة نُسيت (مثال ذلك المقطع الذي قال أبو موسى إنه كان يحوي الآية المتعلقة بطمع بني آدم ـ صحيح مسلم ـ كتاب الزكاة ـ رقم ١٧٤٠) . محاولة ديزاي لتفسير سقوط آيات من القرآن بنظرية النسخ ما هي إلا محاولة يائسة للتغطية على ما شاب عملية جمع القرآن من سلبيات جعلت المصحف المتداول حاليا لا يتسم بالكمال .

وشبهات المذكور وأقرانه من أمثال زكريا بطرس غير ذلك كثيرة .

ولكن السؤال هنا :

ما الذى أمكن مثل هؤلاء الجهلة بكتب الله أن يتطاولوا على القرآن، وعلى رسول الله ﷺ ؟!

أليس ما أسسه لهم أهل الرواية بغبائهم المعهود ؟!

وننتقل إلى الفصل التالى ، والخاصّ بالرد على افترائهم لآيات زعموا نسخها .

❁ ❁ ❁